

صيغ الأمر في الحديث النبوي دراسة تداولية

أ/ عيدة ناغش

جامعة احمد بوقرة بومرداس (الجزائر)

ملخص البحث:

إنّ من أعظم المصادر الموثوقة في اللغة العربية هو القرآن الكريم، والصحيح من أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) وذلك لما فيه من نظم دقيق ومتناسق، ولما فيه من مفردات وصيغ بليغة تحمل في طياتها معان كثيرة، ولهذا فالبحث يهدف إلى الكشف عن صيغة من الصيغ الإنشائية في الحديث النبوي، ألا وهي صيغة الأمر، وإبراز المعاني البلاغية والتداولية والفقهية التي تكمن في ثنايا هذه الصيغة، مع تطبيقات لها من الأحاديث النبوية الواردة في كتاب رياض الصالحين.

Abstract:

One of great trusted sources in the arabic language is the "holy coran" and after that we have the prophet's mohammed speeches "prayers of god don him", and that's based on what's in it of a specificated and accurate systems and what's in of vocabularies and elocuent formats, that holds a lot of meanings. And that's why researches bring to detection on a certain style of construction styles in matter fact it's l.t. style and get on clearing the rhetorical and deliberative and turisprudential meanings that holds in it this style with it applications from the prophet's mohammed speeches that comes in the book of "riad el salihin".

مقدمة:

التداولية مذهب لساني يدرس علاقة اللغة بمستعملها، مع مراعاة السياق والمقام اللذان ينجز ضمنهما الخطاب مع البحث عن العوامل المساعدة على نجاح العملية التواصلية بين المتكلم والسامع، وتعبر الأفعال الكلامية من أسس الدراسة التداولية، هذه الأخيرة تعتبر وسيلة لإعادة قراءة وفهم تراثنا الديني والعلمي، وخلاصة القول هي أننا نود استغلال نظرية الأفعال الكلامية في قراءة نص الحديث النبوي.

سنتناول في هذا البحث أسلوبا من الأساليب الإنشائية الطلبية هو أسلوب الأمر، هذا الأسلوب كان قد تناوله النحاة على أساس القيم الإعرابية ودورها في التركيب، أي أنهم نظروا إليه من جهة أحوال بنائه وارتباط الضمائر والحروف بتلك الأحوال، والأمر عند النحاة صيغة

مخصصة مجردة لذلك فإنه لا يشترط فيه استعلاء أو غيره، في حين وسّع البلاغيون دائرة أسلوب الأمر فربطوه بصيغ الطلب التي تدل على الأمر، فالأمر عندهم هو "اللفظ الدال على طلب الفعل بالوضع على وجه الاستعلاء"¹، كما ذهبوا إلى تعداد مختلف الدلالات التي يشملها في ضوء السياقات التي يتعاقب فيها، أما فيما يخص علماء الأصول فإن أسلوب الأمر أيضا من المباحث المهمة لديهم، فقد رأوا بتقسيم الأمر إلى قسمين: صريح وغير صريح، والأمر الصريح عندهم نوعان: نوع مباشر لا نعتبر فيه مبدأ "القصدية" ونوع ينظر إليه من خلال قصده الشرعي، أما الأمر غير الصريح فينقسم بدوره إلى أنواع منها:

- ما جاء مجيء الإخبار عن تقرير الحكم (ألفاظ الوجوب، مجيء الأمر بصيغة الخبر).

- ما جاء مدحا لفاعله.

- ما يتوقّف عليه المطلوب (المباح).²

لقد ربط الأصوليون الأوامر بإرادة المتكلّم والتي يرى مسعود صحراوي أنّها تسير مفهوم القصدية عند المعاصرين، وذلك باعتماد القرائن اللفظية، أو المعنوية، أو الحالية، التي تهدي إلى تلك المقاصد وتدل عليها³، وكان الأصوليون قد أشاروا إلى خروج الفعل عن معناه الأصلي إلى معان أخرى لدلالة السياق والقرائن إلى تلك المعان وفي ذلك يقول ابن فارس⁴ "فإنّ المعاني التي يتحمّلها لفظ الأمر فإن يكون أمرا والمعنى مسألة نحو: «اللهم اغفر لي» ويكون أمرا والمعنى وعيد نحو قوله عز وجل: ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: من الآية 55]، لنصل في النهاية إلى القول بأنّ النظرية اللغوية العربية تنبني على تصوّر أنّ الأفعال الإنشائية الطلبية واقعة في مسترسل من المعاني رأسه الأمر باعتباره أقواها من حيث إرادة إيقاع الفعل...."⁵

أمّا في الدراسات التداولية، فيصنّف الأمر ضمن الآليات اللغوية التوجيهية⁶، بوصفها توجّه المرسل إليه إلى خيار واحد وضرورة الالتزام به، ومن ثم فإن المرسل يستعمله للسيطرة على مجريات الأحداث⁷، وحسب نظرية أفعال الكلام التي أنشأها أوستين، ففعل الأمر يدل على الوجوب، ولكن لا يتحقّق هذا المعنى أي الوجوب، حسب رأي أوستين بمجرد التلفظ بالخطاب إذ لا بدّ الفعل بسلطة المرسل، فإن انعدمت سلطة المرسل خرج فعل الأمر عن قصد التوجيه إلى مقاصد أخرى يحددها السياق، ولا يقصد بالسلطة المفهوم الضيق بل يتسع ليشمل ما يملكه المرسل من علم ومعرفة، ما يزيد من رتبته، لهذا اعتبر العلماء أنّ الوجوب لا يتحقّق في الأمر إلا بوجود شرطي الصيغة والسلطة، ومن ثمّ فإنّ الوجوب في الأمر ليس مسألة لغوية بل لغوية تداولية، فرتبة

المرسل هي التي تحدّد دلالة الأمر على الوجوب⁸، وقد اختلف الكثير من المحدثين في تعريف الأمر ويعود ذلك إلى تعدّد واختلاف المرجعيات والخلفيات الثقافية التي تقف وراء هذا الاختلاف في طريقة التناول.⁹

مفهوم الاستراتيجية التوجيهية:

تتحقق الاستراتيجية التوجيهية باستعمال مجموعة من الوسائل اللغوية منها أسلوب الأمر، ولوجه المصلحة دور في تحديد دلالة الخطاب التوجيهي، وإعطائه حكماً، فقد يخرج التوجيه إلى معانٍ أخرى وهي: الندب، والتأديب، والإرشاد، ووجه المنفعة في هذه الوجوه يعود على المرسل إليه، ما يجعله ملزماً بتنفيذها، والقيام بها، وأي خروج عنها يكون فيه ضرر عليه، ويبقى شرط السلطة ومرتبة المرسل شرطاً أساسياً في تحقّق التوجيه بالأمر، فالسلطة دور بالغ في إنتاج الخطاب وتأويله، فاللغة تفرض بسلطتها نمطاً معيّناً من الخطابات على مستعمليها، في مختلف المواقف التواصلية، وهي التي تجبر المتكلّم على خيار لغوي معيّن، فالسلطة موجودة بالقوّة في اللغة، وتسهم إلى حدّ كبير في بناء الخطاب التوجيهي الذي قد يتجسّد نصيّاً في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

1- صيغ فعل الأمر: ينشأ الأمر بصيغ أربع وهي:

1-1 - الفعل الصريح: ويكون بصيغة "افعل"، ولا تستعمل إلا مع المخاطب، فيكون الأمر بها مباشر من الأمر إلى المأمور وهو حاضر، أو في حيّز الحاضر في المقام، ومن أمثله في القرآن الكريم قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: من الآية 21]، وقوله عز وجل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: من الآية 43].

1-2 - اسم الفعل الدال على الأمر: ويدل على ما يدل عليه الفعل، وهو يلزم صيغة واحدة غالباً مع المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث من قبيل: صه (اسكت)، مه (كفّ)، إليك (خذ)، إلا ما لحقته كاف الخطاب فيراعى فيه المخاطب مثل: (عليك، دونك، رويدك)، كما يلحق التنوين بعض صيغه فيفيد معنىً إضافياً وإن لزم حالة واحدة؛ مثل (مه، وصه، وإيه)، أمّا (هاك) بمعنى خذ فإنها تتجرد من الكاف وتصبح (ها)، ويجوز أن تلحقها الهمزة، وتتصرف؛ فنقول: للواحد (هاء)، وللواحدة (هَاء)، ولجمع الذكور (هاؤم) كقوله عز وجل: ﴿هَآؤُمْ اقْرَءُوا كِتَابِي﴾ [الحاقة 19] أي خذوا، ومثله اسم الفعل (هلمّ: تعال) فنقول: (هلموا إلينا) وإن جاء بصيغة واحدة في قوله عز وجل: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب 33]، ومثله: (عليكم) كقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة: الآية

[105]، ويرى علماء اللغة أنّ (عليكم) من أسماء الأفعال المنقولة عن شبه الجملة (الجار والمجرور) بمعنى أنّها لم توضع أصلاً للأمر.¹⁰

1-3- الفعل المضارع المجزوم المقرون بلام الأمر: تسمى هذه اللام (لام الطلب) وهي لام مكسورة يطلب بها عمل شيء وفعله لا تركه ولا الكف عنه، فهي تجزم الفعل المضارع الداخلة عليه بشرط ألا يفصل بينهما فاصل، وقد سمى النحويون هذا التركيب أمراً، أي طلب الفعل على سبيل الاستعلاء سواء، استعمل في حقيقة الأمر أم غيرها، وهذه اللام تقبل الاستعمال مع جميع الضمائر بدون استثناء، فيمكن أن ينشأ بها الأمر المباشر وكذلك غير المباشر، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله عز وجل: ﴿لِيَنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: الآية 7].

1-4- المصدر النائب عن فعل الأمر: يرى النحاة أنّ بعض المصادر الدالة على الطلب منصوبة على فعل مضمر، وذلك كقولك (سقياً ورعياً)، ونحو (تعبساً وتباً) والمراد (سقاك الله سقياً) و(رعاك الله رعيّاً) فانتصبا بالفعل المضمر، وجعل النحاة المصدر بدلاً من اللفظ بذلك الفعل نحو: (الحذر الحذر) والمعنى (احذر احذر) ومما ورد في القرآن بهذه الصيغة، قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ [محمد 12]، وقوله عز وجل: ﴿وَقِيلَ بَعْدَ الْقُورِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: 44] فهاتان الآيتان تؤكدان أن هناك شيئاً قد وقع هو: (التعس والإبعاد) فجئ بالمصدر هنا ليبين تحقق وقع: (التعس والإبعاد)، وأيضاً قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ﴾ [محمد: الآية 4]، وقد فسر الزمخشري بأن "أصله: فاضربوا الرقاب ضرباً، فحذف الفعل وقدم المصدر، فأنيب منابه مضافاً إلى المفعول، وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد، لأنك تذكر المصدر وتدلّ على الفعل بالنسبة التي فيه"¹¹

هذه هي الصيغ المعيارية لفعل الأمر، في عموم اللغة، إلا أن هناك صيغ أخرى تلاحظ في الخطاب القرآني، وفي الخطاب النبوي نذكر منها:

1-5- ألفاظ الوجوب ومنها: صيغة "فرض" نحو قوله عز وجل: ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [سورة النور الآية 1]

وصيغة كُتِبَ في مثل قوله عز وجل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: 183]. وصيغة قضى مثلما وردت في قوله عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: 23]، وصيغة أوحى في قوله عز وجل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا...﴾ [النحل: من الآية 68]. وصيغة أمِرت مثلما وردت في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [الآية 58 سورة النساء].

1-6- ورود فعل الأمر بصيغة الخبر: وهو طريقة من طرائق الأمر في لغتنا العربية تأتي الجملة فيه خبرية اللفظ طلبية المعنى، فهو عدول بألفاظ الخبر إلى الإنشاء، والعدول بالأمر إلى الخبر أبلغ من صريح الأمر، لأنه يفيد تأكيد الأمر والمبالغة في الحث عليه حتى كأنه سورع فيه إلى الامتثال والانتهاء¹²، يقول الزمخشري في قوله عز وجل: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ [البقرة: 228]، ”فإن قلت: فما معنى الأخبار عنهن بالتربص؟ قلت: هو خبر في معنى الأمر وأصل الكلام: (وليتربصن المطلقات) وأخرج الأمر بصيغة تأكيد الأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فكأنهن امتثلن للأمر بالتربص“¹³. وقد ذهب ابن جني في كتابه المصنف إلى ورود ألفاظ الأمر والمراد بها الخبر، كما ترد ألفاظ الخبر والمراد بها الأمر ”فمن ألفاظ الأمر المراد بها الخبر قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [جزء من الآية 75 من سورة مريم] إنما معناه: فسيمد له الرحمن مداً، ومن ألفاظ الخبر المراد بها الأمر قوله عز وجل: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [جزء من الآية 11 من سورة الصف] فهذا في معنى قوله ”آمنوا“ ألا تراه إجابة بالجزم في قوله عز وجل: ﴿يَعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [جزء من الآية 11 من سورة الصف].

1-7- ورود فعل الأمر بصيغة الاستفهام: يرد أسلوب الأمر بصيغة الاستفهام، فيزيده إيجاءً جمالياً، لأن المقصود ليس الاستفهام كما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: 91] أي (انتهوا) وهذا نحو قوله عز وجل في [آل عمران: 20]: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ﴾ أي (أسلموا) وكقوله عز وجل: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء جزء من الآية 75] أي (قاتلوا في سبيل الله).

1-8- ورود الأمر بالإشارة: انطلاقاً من مبدأ التعاون المشترك الذي تفرضه طبيعة استمرارية الخطاب بين الطرفين يقتضي الأمر وجود تفاهم بين المرسل والمرسل إليه حول قدر معين من المعلومات والمعطيات والمفاهيم ولكي تحصل الفائدة وهي الإبلاغ والإفهام يجب تضافر عدة مستويات لغوية إذ « تحيل فكرة الفائدة على طريقة في التعالق بين الإبلاغ والإفهام من ناحية

والوظيفة اللغوية من ناحية أخرى»¹⁴، ولهذا قد يوجه المتكلم للمخاطب رسالة بالإشارة، بحيث يتلقاها هذا الأخير ويفك شفرة هذه الرسالة.

1- صيغ الأمر في الحديث النبوي: لقد ورد الأمر في الحديث النبوي بصيغه المختلفة، لخدمة أغراض معينة، وإبراز دلالات خفية تخدم المعنى، وما هذه النماذج التي سنباشر تحليلها في هذا البحث إلا غيض من فيض فقد ورد أسلوب الأمر في الحديث النبوي بنسبة كبيرة، كيف لا؟ وهو أسلوب توجيهي، ونبدأ بأكثر الصيغ ورودا في الحديث النبوي وهي:

1-2- صيغة فعل الأمر الأصلية: وهي «افعل»، وهذه الصيغة لا تصلح في غير الوجوب، والأحاديث التي استعمل فيها الرسول صلى الله عليه وسلم الأمر بصيغة افعل كثيرة جدا منها الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قال: أَخْبَرَ النبي الرسول (صلى الله عليه وسلم) أَنِّي أَقُولُ: وَاللَّهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عَشْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): «أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ ذَلِكَ؟» فَقُلْتُ: لَهُ قَدْ قُلْتَهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَتَمْ وَتُمْ، وَصُمْ مِنْ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعَشْرَ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ» قُلْتُ: فَإِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ» قُلْتُ: فَإِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ أَعَدَّلُ الصِّيَامِ» فَقُلْتُ: فَإِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ» وَلَأَنْ أَكُونَ قَبْلُ الثَّلَاثَةِ الْأَيَّامِ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي¹⁵.

فالنبي (صلى الله عليه وسلم) استفهم عبد الله (رضي الله عنه) عن صحته ما تناهى إليه بشأن سلوكه في العبادة، قبل أن يوجهه إلى السلوك الصائب، إذ أنه كلما كان مطلعاً بشكل مباشر على المسألة كان أكثر إلماماً بالقضية فبعد تقرير الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الله (رضي الله عنه) قدم توجيهاته بشأن الاعتدال والموازنة بين حاجات الروح ومتطلبات الجسد والأهل، والزوج، والحياة العامة، مستعملاً في ذلك أسلوب الحوار لما له من أهمية في عملية التبليغ والإرشاد، فالحوار محبب إلى النفس يضفي الحيوية على الموقف الكلامي ويبعد الملل والشروء عن المتلقي، فيشد انتباه السامع ويجعله أكثر إقبالا على المتابعة، كما يجعل ذهنه أكثر تفتحاً وتجاذباً مع المرسل فالحوار الجيد يجب أن يحتوي على صفتين أساسيتين: التركيز والإيجاز، إذ إنَّ الطول في العبارة الحوارية يميّث الحيوية أثناء العملية التواصلية.

وأيضاً الحديث الذي رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَسَطُوا الإمام وسَدُّوا الخلل»¹⁶، استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم الأمر بصيغته المعروفة وبصورة متكررة، لأنَّ خطابه يتضمن تعليمات مهمّة وهي كيفية أداء الصلاة مع الإمام، والتقيد والإتيان بهذه الأوامر نتيجته صحة صلاة المسلمين، والصحابة (رضي الله عنهم) يستجيبون لصاحب الأوامر، لأنهم يقدّسون دينهم، «والقداسة أقوى مؤسّسة تواضع عليها البشر»¹⁷، واعتماد النبي صلى الله عليه وسلم الأسلوب الإنشائي بصيغة الأمر وسيلة للتعبير يرجع إلى ما تتمتع به هذه الأساليب من قوّة في التأثير على المتلقّي، وإقناعه بعيداً عن التكلف والصنعة، لذلك تعتبر الأساليب الإنشائية (الأفعال الإنجازية) من أهم الوسائل التداولية التي تتوسّلها اللغة لتثير الرغبة والإحساس، وهي صالحة للتأثير في العامة في مجال الوعظ والإرشاد.¹⁸

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال صلى الله عليه وسلم: «صوموا لرؤية الهلال، وأفطروا لرؤيته، فإن غمّ عليكم فأكملوا عدّة شعبان ثلاثين»،¹⁹ في هذا الحديث مجموعة من الأوامر الصادرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم كمرسل أعلى، فقد استعمل صلى الله عليه وسلم الأمر بصيغة «افعل» لأنّه أراد أن يبيّن ويحدّد للمسلمين بداية ونهاية شهر رمضان فبدايته لا تكون إلّا برؤية الهلال، والنهائية تكون برؤيته أيضاً، وأمرهم بإكمال عدّة شعبان ثلاثين يوماً في حالة ما إذا استحالت رؤيتهم له، فالحديث يبعث بفعل إلزامي، وقول إنجازي مفاده احتراموا المواقيت، والنبي صلى الله عليه وسلم يستعمل الفعل الكلامي المباشر عندما يولي عنايته لتبليغ قصده وتحقيق هدفه الخطابي، ورغبته في أن يكلف المتلقّي بعمل ما، فيوجّهه إلى ما فيه مصلحته، ويبيّنه عما فيه ضرر.

ومن ذلك أيضاً نجد الحديث الذي رواه عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قال: أقبل رجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى، فقال صلى الله عليه وسلم: «هلّ من الديك حي؟» قال: نعم بل كلاهما، قال: «فتبتغي الأجر من الله تعالى؟» قال: نعم قال: «فارجع إلى والدك فأخبره صُحْبَتَهُمَا»²⁰.

استفهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) في بداية الحديث بغرض التثبيت حول ما إذا كان للصحابي أحد من والديه حيّ وبعد أن علم الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنّ الوالدين على قيد الحياة كلاهما استفهم الصحابي تفهّم تقرير قرره فيه عن رغبته في دخول الجنة، فأجاب الصحابي بـ «نعم»، وهنا وجه الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذا الصحابي إلى قيمة من القيم التي أتى بها الدين الإسلامي وهي الإحسان إلى الوالدين، وعزّفه بالطريق المؤدي إلى مبتغاه وهو

الفوز بالجنة، لقد اتفق النحاة على أن فعل الأمر في اللغة العربية يفيد المستقبل أبدا،²¹ فإن كان الأمر في الأحاديث العادية يدل على مستقبل محدود ينتهي بانتهاء الأمر والطلب، فإننا نلاحظ أن أفعال الأمر الواردة في الأحاديث النبوية خالدة مستمرة ما دامت الحياة.

وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) «إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء».²² استعمل الرسول (صلى الله عليه وسلم) أسلوب الأمر الصريح، علما أن الأمر يتعلق دائما بالأفعال، و"ضرورة وقوع الفعل والنهي بالفعل يعود إلى كونهما عملا يقومان على توجيه المخاطب إلى أمر لإنفاذه وأدائه في الكون الخارجي".²³

وصيغة الأمر التي وردت في هذا الحديث "فأخلصوا" جاءت على صيغة "افعلوا" دعوة للإخلاص في الدعاء للميت لأنه بحاجة إليه، فعلى المسلمين العمل بهذا الأمر، ولهذا نقول أن هذا الحديث وحسب تصنيفات سيرل يندرج ضمن الأمرات وغرضها يتمثل في نصيح المتكلم للمستمع للقيام بأمر ما وتكون الاستجابة بالامتثال، أو الامتناع، والقول الذي يطلب به شيء ما إما أن يكون أمرا أو نداء أو طلبا أو نصحا... الخ.

2-2- **صيغة اسم فعل الأمر:** يتم التوجيه باستعمال أسماء الأفعال، التي تقوم مقام فعل الأمر الصريح، كاستعمال "مه" وكذلك استعمال بعض حروف الجرّ في سياق الأمر، وهذا ما سماه بعضهم "إغراء"، ومن أمثلة الأمر بشبه الجملة في الحديث النبوي حديث عائشة (رضي الله عنها) عن امرأة كانت عندها فدخل عليها الرسول (صلى الله عليه وسلم) فسألها عنها فقالت: فلانة وجعلت تذكر من صلاتها، وأنها لا تنام الليل، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): «مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملّوا» وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه²⁴، وقد جمع الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بين اسم فعل الأمر (مه)، وفعل الأمر الذي يرد بصيغة شبه جملة (عليكم)، أما "مه" فتأتي مقام الزجر والإنكار، بمعنى: أكفف، أو اسكت، ونحوهما²⁵، وأما (عليك) فتأتي في مقام الإغراء بالفعل بمعنى الزم وخذ²⁶، ولعلّ (صلى الله عليه وسلم) لما رأى أن فعل المرأة مما يشقّ عليها*، وأن عائشة (رضي الله عنها) وغيرها يمدحن فعلها وكأنه هو الحقّ أراد بعد الزجر عن الفعل، ومدحه، أن يبيّن المنهج الصحيح في التعبد، بأسلوب فيه إغراء، في مقابل الإعجاب بضدّه فكان الأمر بهذه الطريقة (عليكم) والله أعلم.

إذ تستعمل مثل هذه الأساليب في الأمر «اتكأ على المعرفة اللغوية في ذهن طرفي الخطاب، من معرفة تركيب الجمل التامة، وبالتالي استلزام الحذف في بنية الخطاب، وتوظيف المعرفة المشتركة بينهما»²⁷، وهذا ما لم يغيب عن ذهن سيد الخلق أجمعين، وخاتم المرسلين.

2-3- **صيغ فعل المضارع المقترن بلام الأمر:** والأحاديث التي ورد فيها الأمر بهذه الصيغة كثيرة منها الحديث الذي رواه أنس رضي الله عنه قال: **دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ فَقَالَ: «مَا هَذَا الْحَبْلُ؟»، قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِرَبْنَبٍ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَلُّوه، لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَةً، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَرْقُدْ».**²⁸

يريد النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الحديث تعليم الصحابة (رضي الله عنهم) وتعليمهم الاقتصاد في الطاعة حتى لا تنقطع لأن عبادة الله عز وجل ليست بالكم والكثرة وإنما بالكيفية التي يُعبدُ بها الله تعالى ويُطاع وتتبع أوامره، وفي هذا قال الحافظ ابن حجر: «وفي هذا حث على الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق فيها»²⁹.

وأيضاً قوله (صلى الله عليه وسلم) حين أنكر على أبي بن كعب (رضي الله عنه): «إِنَّ مِنْكُمْ مَنْقَرِينَ فَأَيُّكُمْ أُمُّ النَّاسِ فليُوجِزْ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ وَذُو الْحَاجَةِ»³⁰ فإن كانت صيغة المضارع هي المخفوفة فلعل النبي (صلى الله عليه وسلم) أراد أن يكون الحكم عامّاً لأبي بن كعب (رضي الله عنه) وغيره بعد أن خصّ أبي بن كعب (رضي الله عنه) بالخطاب والإنكار أولاً، أو أراد أن يخفف من حدة الإنكار حينما يكون الخطاب بالغيبة، أو لكليهما، والله أعلم.

ومن ذلك أيضاً الحديث الذي رواه ابن عباس (رضي الله عنه) قال: بينما النبي (صلى الله عليه وسلم) يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم في الشمس لا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم، ويصوم، فقال (صلى الله عليه وسلم): «مروه فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه»³¹ ولعل اختيار الأمر بصيغة المضارع في هذه المواقف وغيرها، لإشعار المخاطب باستمرار المأمور به وتجذده، وعدم الاقتصاد على حال الأمر دون غيره لما مضى من كون الفعل المضارع يفيد تجدد حصول الفعل وتكراره واستمرار تجذده، إلا إذا أريد به الحال، والله أعلم، ومهما يكن فإن المرسل عبّر عن قصده التواصلية بإحدى الوسائل اللغوية للإستراتيجية التوجيهية، وهو فعل الأمر.

2-4- **المصدر النائب عن فعل الأمر:** ومن الأحاديث النبوية التي تتضمن المصدر النائب عن فعل الأمر قوله (صلى الله عليه وسلم) لآل ياسر حين مرّ بهم: «صبروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة»، أي أصبروا آل ياسر والله أعلم.

2-5- ألفاظ الوجوب: نجد أحيانا أنّ المتكلم يستعمل اشتقاقات مادّة "أمر" معجميا، ولا يقتصر الأمر على صيغة واحدة أو زمن واحد، فقد يتعدّد الزمن كالماضي والمضارع، ولكن يبقى قصد المرسل هو الأمر، ومن أمثلة ذلك في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، وأنّ محمّدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاّ بحقّ الإسلام وحسابهم على الله»³² تدل صيغة أمرت على الوجوب رغم كونها وردت بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول، وهناك فرق بين استعمال الأمر بالصيغة (افعل)، وبين الفعل المبني للمجهول، وهو أنّ المرسل يوجّه بصيغة (افعل) في الخطاب ذلك المرسل إليه الحاضر العيني أو الذهني مباشرة، بينما يقتصر التوجيه بصيغة الفعل المبني للمجهول على المرسل إليه الذهني، والمرسل يدرك ماهية هذا الأخير من خلال المعرفة السابقة، بالإضافة إلى الألفاظ والصيغ الدالة على الأمر، فإنّ هناك ألفاظ يعبر بها المرسل عن الأمر، مثل ألفاظ الوجوب وما في حكمها، «وغالبا ما نجد هذا في خطابات التعليمات المشدّدة، إذ لا يترك التأويل للمرسل إليه، حتى لا يقع في مزالق الفهم الخاطئ»³³ ونجد هذا في قوله (صلى الله عليه وسلم): «غسل يوم الجمعة واجب على كلّ محتلم»³⁴، استعمل الرسول (صلى الله عليه وسلم) لفظ الوجوب ليؤكد للمرسل إليه الأمر وضرورة الالتزام به.

2-6- ورود فعل الأمر بصيغة الخبر: يُنشأ الأمر بتوقّر مكونين هما التنغيم والصيغة، قد تغيب هذه الأخيرة ويبقى التنغيم دالا على إنشاء الأمر، فيصدر الكلام في صيغة الخبر من زاوية التركيب، وذلك التنغيم الذي يحمله يجعل منه إنشاء للأمر، فاستعمال التنغيم في الجملة يعبر عن الحالات النفسية المختلفة، وعن المشاعر والانفعالات، فلكل من الرضى والغضب والدهشة والاحتقار، وغير ذلك نغمته الخاصة به³⁵، وتكمّل ذلك عناصر أخرى تتعلق بالمقام وموقف المتكلم، وهذا يدلّ على "أنّ الطلب كثيرا ما يخرج لا على مقتضى الظاهر وكذلك الخبر، فيذكر أحدهما في موضع الآخر"³⁶.

وحين يكون المقام مقام تعليم وإرشاد، فإنّ الجمل التقريرية أكثر ملائمة لتحقيق هذا الغرض وهذا ما ترمي إليه التداولية وهو تحقيق الإفادة والتأثير والإنجاز مع توفر القصد ومن شواهد ذلك في الأحاديث النبوية الحديث الذي روته عائشة (رضي الله عنها) عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) حين قال للنفر الثلاثة الذين قدموا إلى بيته يسألون عن عبادته: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَنْزَوُجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»³⁷.

فالرسول (صلى الله عليه وسلم) في هذا المقام يرشد هؤلاء الثلاثة إلى التوازن ويحذّرهم من الانقطاع عن العبادة لأنّ النفس البشرية لها طاقة محدودة فإن تجاوزتها كلّت ومَلّت كما أنّ للنفس عدة جوانب مطلوب من المرء أن يوازن بينهما فيعطي لكل جانب حقه، وقد عمد المرسل وهو الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى طريق اللطف في توجيه الخطاب رغم يقينه بأنّ سلطته تحوّل له توظيف الأمر المباشر والذي سيؤخذ بعين الاعتبار، ولكنّه عمد إلى النصّح والإرشاد، وهذا ما يدخل ضمن الاستراتيجية التضامنية، وهي الاستراتيجية التي يحاول المتكلم من خلالها على تجسيد علاقته بالمتلقي ونوعها وأن يعبر عن احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، فهي محاولة التقرب من المتلقي³⁸.

وعن جابر (رضي الله عنه) قال: أراد بُنُو سَلَمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ هُمُ: «إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ؟»، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ فَقَالَ: «بَنِي سَلَمَةَ دَبَارُكُمْ تَكْتُبُ آثَارَكُمْ، دَبَارُكُمْ تُكْتُبُ آثَارَكُمْ»³⁹.

يدرك الرسول (صلى الله عليه وسلم) أننا لأسلوب الخبري نافع في تلقي المتعلم العلم إذا ما توفر البعد التداولي المتمثل في نية المرسل واستجابة المتلقي، ويقول في هذا السياق الشيخ عز الدين بن عبد السلام: "إذا أريد تأكيد الدعاء والأمر والنهي عبر عنه بالخبر المستقبل، وإن بالغ في التأكيد تجوّز عنها بالخبر الماضي"⁴⁰.

ومن ذلك أيضاً أنّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قال: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ»⁴¹ أي أسبغوا الوضوء، وأكثروا الخطا إلى المساجد، وانتظروا الصلاة بعد الصلاة، والله أعلم، وحتى يكون فعل الأمر ناجحاً «يجب أن يفهم المرسل إليه أنّه وجه إليه أمراً مستعينا في ذلك بالتنعيم Intonation أو السياق»⁴².

ومما سبق نستنتج أنّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يغيّر بين الأسلوب الإنشائي والخبري لكي يحقق التأثير في المتلقي، وكما لا يكون أسلوبه على وتيرة واحدة تبعث على الملل، والسأم في النفوس، حتّى يجدد نشاط السامعين، ويجعلهم يتفاعلون معه، وهذا من شأنه أن يؤثر فيهم تأثير واضحاً.

2-7- ورود الأمر بصيغة الاستفهام: يحرص النبي (صلى الله عليه وسلم) على التنوع في خطاباته وأساليبه بغاية الحرص على بلوغ الفائدة لجميع المتخاطبين، فيستعمل مثلاً أسلوب الاستفهام بغرض توجيه أمر إلى الصحابة (رضي الله عنهم) وذلك لأن الاستفهام من الآليات التوجيهية، التي يستعملها المتكلم للسيطرة على مجريات الأحداث، والسيطرة على ذهن المتلقي.

ولقد ورد أسلوب الأمر بصيغة الاستفهام في مواضع كثيرة منها قوله (صلى الله عليه وسلم) لصاحب الجمل: « أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟ فَإِنَّهُ يَشْكُو إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِيهِ » وهذا الحديث رواه عبد الله بن جعفر (رضي الله عنه) وهو يروي فيه أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) استتر بجائش نخل ليقضي حاجته فإذا فيه جملٌ فما إن رأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى جَرَجَرَ وَدَرَقَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) فَمَسَحَ سَرَاتَهُ*⁴³ وَدَفَرَاهُ فَسَكَنَ فقال: « مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟ » فجاء فتى من الأنصار فقال هذا لي يا رسول الله فقال له ما سبق ذكره أي: "أتق الله في هذه البهيمة"،⁴⁴ يدخل فعل الأمر الوارد في الحديث السابق ضمن أفعال التكليف والتوجيه، وتعد أفعال التكليف والتوجيه مسألة مهمة عند الأصوليين، وكذلك التداولين، فالتكلم يلجأ إلى توظيف مثل هذه الأساليب ليعث في النص "حياة، وحركة ويمنحه أسباب القدرة على الإقناع، والإمتاع، فيستهوي المستمعين ويجعلهم أكثر تفاعلاً مع الهدف المنشود"⁴⁵

ومن الأحاديث التي ورد فيها أسلوب الأمر بهذه الصيغة قوله (صلى الله عليه وسلم) لعلي بن أبي طالب وفاطمة (رضي الله عنهما) وقد طرقيهما ليلاً: « أَلَا تُصَلِّيَانِ »⁴⁶، حث لهما على قيام الليل لما في قيام الليل من الخير وصلاح القلوب غير أنه أخرجه بصيغة الاستفهام وليس بغيرها من الصيغ كأن يقول: قوما الليل، وهذا تلطفاً منه (صلى الله عليه وسلم) وتودداً في حثهما على قيام الليل رغبة في مسارعتهم إلى الاستجابة لِمَا حضهما عليه فلم يخرج به بصيغة الأمر حتى لا تذهب بهذا التلطف في النصيح، أو يفهما الأمر على غير حقيقته فيقوموا على كره منهما، ولهذا أخرجه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بصيغة الاستفهام ليشعرهما بحريتهما في الاستجابة أو عدمها، فإيراد « الأمر في صورة الاستفهام فضلاً عما فيه من تعبير مؤدّب لأنك تترك مخاطبك بالخيار أن يفعل، وألا يفعل، فيه إغراء بالعمل والحث عليه »⁴⁷، كما أنّ للعاطفة مكان في الخطاب النبوي، فمراعاة الجانب النفسي والعاطفي أساس في عملية التبليغ، إذ أنه يملك ما يملك من التأثير على النفس البشرية، ليدعوها من خلال هذا الجانب للالتزام بما هو خير.

وأيضاً من هذا القبيل نجد الحديث الذي رواه أبو سُرُوعَةَ -عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ- (رضي الله عنه) والذي تَزَوَّجَ ابْنَهُ لأبي إِيَّاهِبِ بْنِ عَزِيزٍ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ (رضي الله عنه): مَا أَعْلَمُ أَنَّكَ أَرْضَعْتَنِي وَلَا أَخْبَرْتَنِي، فَكَرِبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة فسأله فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): « كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ؟ » فَقَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَتْ زَوْجاً غَيْرَهُ⁴⁸.

ذكر ابن حجر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) يعاتب وينكر بأسلوب الاستفهام للتخفيف من حدة الإنكار على أصحابه رضوان الله عليهم⁴⁹، وهو هنا ينكر على عقبة عدم مفارقتها لزوجها بعدما قيل ما قيل فهو بهذا يوجه إليه أمراً بطريقة غير مباشرة مفادها (ما دام قيل ما قيل فعليك مفارقتها) ولكنه بإنكاره عليه ذلك فهم عقبة المراد من قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) والدليل أنه فارقتها وتزوجت غيره، فالخطاب الإنشائي لا يصف الواقع، إنما يسعى إلى التأثير فيه وتغييره، وهذا ما يسعى إليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بتوجيهاته للصحابة رضوان الله عليهم ” فاللغة مرتبطة بقصد المتكلم من حيث هي إنشاء لفعل على مستوى السامع أو غيره، وبذلك فهي ليست أصوات تعبيرية فحسب، بل هي أفعال ناشئة عن قصود المتكلمين بإفادة الكلام، حتى أن المتكلم لا يسمي متكلماً إلا لفعل الكلام الذي ينشئه ويؤديه“⁵⁰.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قَالَ: رَأَى النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) عَلِيَّ بْنَ أَبِي نَجِيحٍ مُعَصِّفَرَيْنِ، فَقَالَ: «أَمْثَلَكَ أَمْرَتُكَ بِهَذَا؟» قُلْتُ: «أَعْسَلُهُمَا؟» قَالَ: « بَلْ أَخْرِقُهُمَا»⁵¹ قال النووي في شرحه هذا الحديث: قوله (صلى الله عليه وسلم): «أَمْثَلَكَ أَمْرَتُكَ بِهَذَا؟» معناه أن هذا من لباس النساء وزيهن وأخلاقهن وأما الأمر بإحراقهما فقليل: هو عقوبة وتغليظ لجره وزجر غيره عن مثل هذا الفعل⁵² كما أنه توجيه فالاستراتيجية التوجيهية « تُعَدُّ ضَغْطاً وَتَدْخِلاً وَلَوْ بِدَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ عَلَى الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ وَتَوْجِيهِهِ لِفَعْلٍ مُسْتَقْبَلِيٍّ مُعَيَّنٍ»⁵³.

2-8- ورود الأمر بالإشارة: من المعلوم أن الكلام والعبارة أكثر إفصاحاً عن مراد المتحدث من الإشارة أو الرمز، لأنَّ الإشارة قد لا ينتبه لها إلا العدد القليل عندما لا يكون هناك داعٍ لاستعمالها، لكنها تكون أكثر تأثيراً وأوضح دلالة إذا اقترنت بما يدل عليها، وقد استخدم الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذا الأسلوب في التعبير في مواقف متعدّدة، ومختلفة، وترجم الإمام البخاري لذلك في باب أسماء: باب الإشارة في الطلاق والأمور، ومن الشواهد على ذلك الحديث الذي رواه أبو العباس سهل بن سعد الساعدي (رضي الله عنه) عن إشارة النبي لأبي بكر (رضي الله عنه) حين همّ بالتأخر عن موقع الإمامة، وذلك أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) بَلَغَهُ أَنَّ

بني عمرو بن عوف كان يبينهم شرًّا، فخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليصلح بينهم في أناس معه، فحسب⁵⁴ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحانت الصلاة فجاء بلال إلى أبي بكر (رضي الله عنه) فقال: يا أبا بكر إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد حُسِّسَ وحانت الصلاة فهل لك أن تؤم الناس؟ قال: نعم إن شئت فأقام بلال، وتقدم أبو بكر فكبر وكبر الناس، وجاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يمشي في الصفوف حتى قام في الصف، فأخذ الناس في التصفيق، وكان أبو بكر (رضي الله عنه) لا يلتفت في صلاته فلما أكثر الناس في التصفيق التفت، فإذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأشار إليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فرجع أبو بكر (رضي الله عنه) يده فحمد الله ورجع القهقري وراءه حتى قام في الصف فتقدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فصلى للناس، فلما فرغ أقبل على الناس فقال: «يا أيها الناس ما لكم حين نأبكم شيء في الصلاة أخذتم في التصفيق؟ إنما التصفيق للنساء من نأبه شيء في صلاته فليقل: سبحان الله فإنه لا يسمعه أحد حين يقول: سبحان الله إلا التفت. يا أبا بكر ما منعك أن تصل بالناس حين أشرت إليك؟» فقال أبو بكر: «ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يصلي بالناس بيدي رسول الله»⁵⁵.

فهذا الحديث يفيد أن من إشارة النبي (صلى الله عليه وسلم) ما هو أمر، وقد اقتضى التفات أبو بكر (رضي الله عنه) أمره بالبقاء إماماً، حتى لا يظن أن النبي (صلى الله عليه وسلم) يريد أن يتقدم فيرجع مع تصفيق الناس، إلا أن كون النبي (صلى الله عليه وسلم) في صلاة اقتضى أمره بالإشارة، والله أعلم.

الخاتمة: إنَّ عناية المتكلم بمعانيه تدفعه إلى أن يتخذ طريقة مناسبة في صياغة عباراته، فهناك صيغ تسهم في إضفاء الدلالة المحددة المطلوب إيصالها إلى المتلقي، فالاختلاف في الصيغ لا يكون بطريقة عشوائية، حيث أن كل صيغة من الصيغ الواردة في الأحاديث تستعمل في مكانها المناسب الذي لا يفضل فيه غيره.

إنَّ الأساليب الإنشائية التي كان يستعملها الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم تكن أدوات مجرد أدوات تعبيرية فحسب، وإنما كانت أحد عناصر البلاغ، والبلاغة، والإيجاز، والإثارة الهادفة إلى تحريك النفوس، وبالتالي فأسلوب الأمر يمثل طاقة حجاجية هامة تنتمي إلى صنف الأفعال التي وسمها أوستين *acte perlocutionnaires* أي الأقوال التي فيها إنجاز لأفعال معينة، ولكنه إنجاز ضمني لأنَّ صيغة الأمر تحمل معنى الدعوة، ومن ثمة تبدوا صلته بالحجاج وثيقة، لأنه يهدف إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين.

الهوامش:

- ¹ - إبراهيم الشيرازي، شرح الممع في أصول الفقه، تح: عبد الحميد تركي، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1988، ج2، ص 567
- ² - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص 158.
- ³ - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 146.
- ⁴ - أبي الحسين ابن فارس الرازي، الصحاحي في فقه اللغة، ص 184، ص 186 .
- ⁵ - خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين الإنشاء والدلالة، دراسة نحوية تداولية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2001 م ط1، ص 591.
- ⁶ - ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ط1. ليبيا: 2004م، دار الكتاب الجديد المتحدة، ص 340.
- ⁷ - ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 123.
- ⁸ - أوستين، نظرية أفعال الكلام، تر: عبد القادر قنين، إفريقيا الشرق، 1991، ص 91.
- ⁹ - ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 340.
- ¹⁰ - محمد سعيد عبد الله، أساليب الطلب في الحديث النبوي، دراسة بيانية في الموطأ، د ط. القاهرة: د ت، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص 130.
- ¹¹ - الرمخشري، الكشف، وبحاشيته الانتصاف لابن المنير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، ج4، ص 308.
- ¹² - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1408هـ، ج2، ص 77.
- ¹³ - الرمخشري، الكشف ج1، ص 365.
- ¹⁴ - بوجمعة شتوان، بلاغة النقد وعلم الشعر في التراث النقدي، ط1. منشورات مخبر تحليل الخطاب، تيزي وزو: 2007م، دار الأمل للنشر والتوزيع، ص 306.
- ¹⁵ - رياض الصالحين، ص 57.
- ¹⁶ - رياض الصالحين، ص 284.
- ¹⁷ - عمر بلخير الخطاب المسرحي، في ضوء النظرية تداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003، ص 181.
- ¹⁸ - أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار الفكر العربي، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1996، ص 20.
- ¹⁹ - رياض الصالحين، ص 306.
- ²⁰ - رياض الصالحين، ص 104.

- ²¹ - فتحي عبد الفتاح الدجني، الإعجاز النحوي في القرآن الكريم مكتبة الفلاح، الكويت: 1984م، ص130.
- ²² - رياض الصالحين، ص 252.
- ²³ - خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين الإنشاء والدلالة، ص132.
- ²⁴ - رياض الصالحين، ص 55.
- ²⁵ - لسان العرب ابن منظور، دار صادر بيروت، ج13، ص542.
- ²⁶ - لسان العرب، ج15، ص88.
- * - مه: كلمة زجر ونهي / ولا يملّ الله: لا يقطع ثوابه عنكم / حتى تملّوا: فتتركوا
- ²⁷ - ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص348.
- ²⁸ - رياض الصالحين، ص56.
- ²⁹ - ابن حجر، فتح الباري، ج3، ص37.
- ³⁰ - رياض الصالحين، ص 188.
- ³¹ - رياض الصالحين، ص59.
- ³² - رياض الصالحين، ص 302.
- ³³ - ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 347.
- ³⁴ - رياض الصالحين، ص 293.
- ³⁵ - أحمد قُدّور، مبادئ في اللسانيات، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط2، 1999م.
- ³⁶ - السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984م، ص323.
- ³⁷ - رياض الصالحين، ص55.
- ³⁸ - ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 257.
- ³⁹ - رياض الصالحين، ص 53.
- ⁴⁰ - عز الدين بن عبد السلام، الإشارة إلى الإيجاز، في بعض أنواع المجاز، تح: رمزي سعد الدين، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1978، ص28.
- ⁴¹ - رياض الصالحين، ص273.
- ⁴² - ذهبية هو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ط1. منشورات مخبر تحليل الخطاب، تيزي وزو: 2005م دار الأمل للنشر، ص127.
- * - قوله: (سراته): أي: سِنَامُهُ. قَوْلُهُ (ذِفْرَاهُ): هُوَ بِكسر الدال المعجمة وإسكان الفاء، وَهُوَ لفظ مفرد مؤنث. قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الدَّفْرَى: المَوْضِع الَّذِي يَغْرُقُ مِنْ الْبَعِيرِ خَلْفَ الْأُذُنِ، وَقَوْلُهُ: (تَدْنِيَةُ) أي: تتعبه.
- ⁴⁴ - رياض الصالحين، ص259.

- ⁴⁵ - محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي، بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي، دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، ط 1، 1996، ص 120.
- ⁴⁶ - رياض الصالحين، ص 295.
- ⁴⁷ - أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، دار تحضة مصر، القاهرة، د ط، د ت، ص 156.
- ⁴⁸ - رياض الصالحين، ص 176.
- ⁴⁹ - ابن حجر، فتح الباري، ج 2، ص 197.
- ⁵⁰ - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدر العربية للكتاب، ط 2، 1986م، ص 286.
- ⁵¹ - رياض الصالحين، ص 429.
- ⁵² - أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار ابن حزمعمانط 1، 2002 م، ج 7، ص 246.
- ⁵³ - ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 323.
- ⁵⁴ - -- معنى حُجَس: أمسكوه ليضَيِّقُوهُ.
- ⁵⁵ - رياض الصالحين، ص 87.